

## بين التجارة والصناعة\*

يسكن معنا فى بيتنا معلم بلدى لطيف يسمى «المعلم وهدان» وأنا أحبه لأنه قال لى مرة إنه يقرأ ما أكتب وإن ما أكتبه يعجبه.. وكانت توجه إليه دائما تهمة التجارة بالدولارات ولكنى لم يسبق أن ناقشت معه الموضوع..

وفى ذات يوم قالت لى زوجتى إن المعلم وهدان يريد أن يزورنى ليتحدث معى فى أمر يهيمه وإنها اتفقت معه على أن عندنا فى الساعة السادسة مساء.

أتى الرجل فى موعده، وهو رجل أنيق يبدو عليه الغنى، ويمتاز بظرف وخفة ظل، فجلس وقال لا أدرى إن كنت ستقبل منى ذلك أو أنك لن تحب ما سأعرضه عليك؟. قلت وما هو هذا الذى تريد أن تعرضه على. قال: أننى تعبت من ذلك النوع من التجارة الذى أمارسه من ثلاثين سنة واستقر رأبى على أن أنشئ شركة لصنع الموتورات لأننى فى الحقيقة عندما تأملت نوع التجارة التى أمارسها إلى الآن، وجدت أنها لا تفيد البلد فى شىء، وإن كانت تفيد الكثيرين من الناس وأقصد بذلك تجارة الدولارات التى كانت سببا فى حبسى مرة، فقد قبضوا على وحاكمونى وحكموا على بالسجن ستة أشهر قضيتها وخرجت لأتابع التجارة فى الدولارات كما كنت أفعل دائما، وأنا أعرف أنك لا تحب هذه التجارة، ولكنى لا أظن أنك فكرت فيها كما ينبغى.

قلت: إننى أعتبر هذه التجارة غير قانونية لأن الحكومة تقول ذلك، وأنا أؤمن بكل ما تقرره الحكومة..

\* نشرت هذه المقالة فى ٣١ ديسمبر ١٩٨٩ م.

قال لأنك يا سيدى لا تعرف موظفى الدولة تحت مستوى الوزراء ووكلاء الوزارات؛ لأن الثورة عندما جاءت لم تمس جسد الحكومة فظلت جثة متعبة أو قل حالكة لا يعرف متاعبها إلا الذى ساقه سوء الحظ إلى الدخول فى أعمال مع طراز الموظفين الذى أشرت إليه، وأنا أذكر أن الوزير الذى حبسونى فى أيامه وكان وزير تجارة أملى مذكرة ضدى فى غاية القسوة، واتهمنى باللصوصية، وأظن أنه طلب حبسى بضع سنوات، وأنا شخصيا لم يخطر ببالى قط أن التجارة بالدولارات فيها شىء من اللصوصية، لأن الدولار بضاعة كغيره، وهو موجود فى السوق، وأنا أتاجر فيه كما أتاجر فى غيره، ولاشك أن بلادنا منذ عرفت الانفتاح كان لا بد أن تعرف تجارة الدولارات، لأن الانفتاح عندما أتى على أيام الرئيس السادات أتت معه جماعة من المستفيدين الذين أنشأوا ذلك النوع من الشركات الذى يسمى «استيراد وتصدير» وأنت فى الحقيقة لا تدري ماذا يستوردون وماذا يصدرون ولكننى أعرف أن هذا الطراز من رجال الأعمال بالإضافة إلى الكثيرين من أصحاب المصانع الصغيرة التى كثرت هم الذين تعيش عليهم تجارة الدولارات فى أيامنا.

هذه السنوات كان أولئك الناس يترددون على إما لبييعونى الدولارات أو ليشتروها منى، وكنت لا أجد فى ذلك بأسا ولو أن هذا الطراز من الرجال لم يعجبنى قط فى مجموعة.

قلت: ولكنى يا سيدى مادامت الحكومة تقول إن التجارة فى الدولارات بحرة فهى عندنا محرمة..

قال: لأنك كما سبق أن قلت لك لا تعرف نوع الموظفين الذين نتعامل نحن معهم، فهم فى الحقيقة جماعات من الأنايين يندر أن تجد فيهم إنسانا تستطيع أن تحبه وتتعامل معه كما يتعامل الناس مع الناس، ولو سألت المئات من المواطنين الذين عادوا من الخارج بثروات لا بأس بها

وصدقوا ما كانت الحكومة تزعم من أنها مستعدة لبيع الأراضي لهم  
وتسهيل إصلاحها كجزء من عملية استصلاح الصحراء.  
لو سألت أولئك المواطنين وعرفت ما قاسوا وعانوا على أيدي هذا الطراز  
من الموظفين لعرفت ما قاسوه وعانوه دون جدوى.

أقول أنك لو استمعت إلى حكايات أولئك المصريين العائدين من الخارج  
وما عانوا على أيدي أولئك الموظفين لأيقنت معي أن التجارة في الدولارات  
ليست بشيء، إذا هي قيست إلى ما يصنعه أولئك الناس لأنه مهما كان  
تصورك للأمر، إن الدولارات كما قلت لك بضاعة وهي موجودة في السوق  
والحكومة قدرت سعر الدولار بحوالي ٢٦٤ قرشا، وأنا يجيئني ناس  
ويبيعوني الدولارات بسعر ٢٧٠.

قلت: وأنت تبيعها بثلاثة جنيهات (٣ جنيهات) قال المعلم وهذان  
ولم لا؟ إذا كان هناك من يحتاج إلى الدولار فلماذا لا أبيععه إياه بثلاثة  
جنيهات لأنه على أي حال سيخرج أي مبلغ يدفعه لي من زبائنه.

ولكى أدلك على أنني أقول الحق أذكر أن الوزير الذي قال في شخصي  
ما قال وتسبب في حبسي تولى بعد أن ترك الوزارة - كما هي العادة -  
رئاسة مجلس إحدى الشركات الخاصة أي أنه أصبح تاجرا..

وفي ذات يوم أتصل بي وطلب أن أزوره في مكتبه فقلت: له هذا  
يا سيدي كان عندما كنت وزيرا، أما اليوم فأنت تاجر ومادمت تاجرا  
فأنت الذي تأتي إلي.

وأتاني! وقال إن الشركة التي يرأسها في حاجة إلى دولارات.

وقلت سبحان الله! أنت تأتيني لتشتري مني دولارات.

قال صدقني أنسى لم أفهم السوق ولا طبيعة العمل فيه إلا بعد أن  
خرجت من الوزارة.

قلت: وكم دولارا تحتاج أنت إليه الآن.

قال: مليون أو مليون ونصف.

قلت: ولا دولارا واحدا.

لأننى يا سيدى رئيس مجلس الإدارة لا أصدق ما زعمت من أنك لم تفهم السوق طالما كنت وزيرا. فأنت كنت دائما تفهم السوق وتعرف ما يجرى فيه لكنك أردت فى أيامها أن يرى الناس أنك وطنى وذكى ومخلص ومتحمس ففعلت بى وبغيرى ما فعلت.

والآن وأنت بالسوق تأتينى طالبا دولارات، وأنا عندى ما تريد وأكثر بكثير - ولكن صدقنى أنى لن أبيعك دولارا واحدا، ويكفى أن تعلم الآن أن القوانين التى يضعونها ويصرون عليها ويمثلون الصحف بمقالات وأخبار تسوى سمعة التجار الذين لا يسمون فى هذه المقالات إلا بالتجار الجشعين، هذه القوانين ليست كلها من صالح البلد، وصدقنا أن التجار لا يمكن أن يوصفوا بصورة عامة بأنهم جشعون أو مصاصو دماء أو ما شبه ذلك، وصدقنى أن تجار مصر لا يمكن أن يوصفوا بذلك.

لأن تجارنا كغيرهم من أهل بلادنا فيهم الطيبون وغير الطيبين، وأنا قد مضيت فى السنوات الماضية على التجارة بالدولارات لأننى لم أقتنع قط بأن هذه التجارة نوع من اللصوصية، وها أنت ذا والحديث موجه إلى الوزير السابق - الآن توافقتنى على رأىى.

قلت: أما أنا يا معلم وهدان.. فإننى لم أسئ الظن بك أبدا وكان رأىى فيك دائما رأيا طيبا، والآن أريد أن أعرف ما الذى تريده منى الآن.

قال: وهل ما زلت تؤمن بأن كل ما يفعله موظفو الحكومة حق.

قلت: أظن ذلك.

قال: إذا كان الأمر كذلك فأعتقد أنه لا داعى لأن نتكلم، أنا أشرب الشاي وأنصرف.

فقلت له، الحقيقة يا معلم وهدان أننى ربما كنت أختلف معك فى بعض المسائل، ولكن هذا لا يمنع من أن تقول لى ماذا كنت تريد منى.

قال وهو يبتسم: لنذع ذلك إلى لقاء قادم.  
قلت: حسنا:

فقال: لكى أطمئنك أقول أن رأبى قد استقر على أن أغير طريقى وأن أترك التجارة التى أسير عليها الآن سواء أكانت دولارات أو غير دولارات لكى أدخل عالم الصناعة.  
قلت: وماذا سنصنع.

قال: سيدهشك أننى أنا ونفرا من أصدقائى قررنا أن ننشئ مصنع موتورات.

قلت: مندهشا موتورات دفعة واحدة.

قال: أى والله، لكى تعرف أننى لست من الفساد كما ظننت.

قلت: وكيف سيكون ذلك.

قال: ذلك أحكيه لك فى لقائنا القادم بإذن الله.